

إخوتي في المسيح،

اليوم تعيد الكنيسة لأبينا القديس كيرلس Cyril بطريك الإسكندرية وهو من أهم معلّمي الكنيسة والمدافعين عن الإيمان المسيحي.

ما دفعني إلى الكتابة لكم هو ظهور فيلم جديد في الأسواق اسمه آغورا Agora يدور حول الأحداث الدامية والاضطرابات التي حدثت في مدينة الإسكندرية بين المسيحيين من جهة واليهود والوثنيين من جهة أخرى في القرن الخامس ميلادي. هذا الفيلم تحوير للحقائق التاريخية بُغية تشويه صورة الكنيسة وبالأخص صورة أحد أبرز قديسيها، كيرلس رئيس أساقفة الإسكندرية.

يُظهر الفيلم مسيحي الإسكندرية كجماعة همجية دموية على رأسها أسقف متطرف يحث أبناءه إلى تدمير مكتبة الإسكندرية وحرق الكتب العلمية والفلسفية، وإلى إبادة وقتل الوثنيين واليهود! بينما يظهر فيه الوثنيون من جهة كرمز للعلم والحضارة المضطهدة، واليهود من جهة أخرى كجماعة مذبوحة من قبل المسيحيين ومطرودة من مدينتها عنواً.

القديس كيرلس بين الحقيقة والافتراء

عند وفاة الأسقف السابق، يُظهر لنا الفيلم كيرلس يأخذ تاج الأسقفية عن رأس الميت ويضعه على رأسه، ثم يخرج ليعلن أمام الشعب تنصيب ذاته أسقفاً على كنيسة الإسكندرية. من يعرف تاريخ الكنيسة وقوانينها، يكتشف مباشرة افتراء المخرج ومن وراءه. ففي الكنيسة الأسقف يُنتخب من قبل مجمع أساقفة والقانون الكنسي يمنع أحداً أن ينصب ذاته! القديس كيرلس كان بطريكاً شرعياً على الإسكندرية، منتخب من مجمع أساقفة شرعي ومعترف به من قبل كل الكنائس الأخرى.

نقرأ في السنكسار [1] (سير القديسين)، في اليوم التاسع من حزيران، الذي فيه تعيد الكنيسة للقديس كيرلس، أنّ القديس ولد في حدود سنة ٣٨٠ م ونشأ في ظلّ خاله

ثيوفيلوس بطريرك الإسكندرية السابق. كان القديس حريصاً على وحدة الكنيسة ومتضاعاً، لذلك بادر في عهده إلى حلّ الخلاف الذي كان قائماً بين ثيوفيلس ويوحنا الذهبي الفم بطريرك القسطنطينية، وإعادة الشركة مع بطريركية القسطنطينية. كذلك، بادر إلى توصّل إلى وضع صيغة واحدة عقائدية مع بطريرك إنطاكية حلت بعض الخلافات القائمة بين الكنيستين.

كان كيرلس بليغاً في الكلام، مطلعاً على الفلسفة، كما كان رجل وفاق وصلح. في فيلم أغورا يظهر لنا كيرلس شخصية فظت متطرّفة، يتهمّ الفلاسفة بالشعوذة ويدفع الشعب المسيحي إلى هجومٍ بربري على مكتبة الإسكندرية الشهيرة لإحراق المخطوطات العلمية والفلسفية. فمن صدّق: هل صدّق فيلم، من المرجّح أن يكون له صلة بالبروباكاندا اليهودية المبرمجة ضدّ الكنيسة على مدى العصور. أم صدّق الكنيسة التي أعلنت قداسة القديس كيرلس ولقبته بـ"معلم الكنيسة"؟

في الإنتاج السينمائي لا بد أن يكون هناك بطل الفيلم والأشرار. بطلة فيلم أغورا هي هيباتيا الوثنية التي كانت، بحسب السنكسار، "وجهاً بارزاً بين الفلاسفة في الإسكندرية"، وبينما يجتهد المخرج أن يظهر فيها فضيلة العلم والثقافة والحكمة السلامية. يقول فيها السنكسار أنّها سعت بمشوراتها على الوالي أوريستس "لتوتير علاقة الوالي بكرّس" فكان أن "فتك بها بعض المتطرّفين". ما علاقة كيرلس بمقتل هيباتيا؟ الفيلم يُظهر كيرلس المسؤول المباشر عن مقتل هيباتيا الفيلسوفة. هذا استنتاج غير معقول ويفتقر إلى الوقائع التاريخية.

البطل الثاني هو أوريستس الوالي، الذي كان بحسب الفيلم تلميذاً مسيحياً لهيباتيا: تلميذ مسيحيّ لمعلمة وثنية؟! وكان أوريستس أيضاً مغروم بمعلمته. بينما يقول السنكسار عن أوريستوس الوالي "فكانت للمسيحيين مواجهات دموية معه". من صدّق سنكسار الكنيسة أم بروباغاندا اليهود؟ لكم الخيار!

أما بالنسبة للمواجهات مع اليهود، فيظهر فيها المسيحيون بموقع المعتدي واليهود بموقع الردّ على الاعتداء. هذا افتراء كبير وتحويل غاشم للحقائق التاريخية!! يقول الفيلم أنّه "بعدها وقعت اضطرابات وحصلت تعديات قتل على المسيحيين...استدعى كيرلس زعماء اليهود ونهّهم وهدّدهم...". وبعد أن "غضَّ أورشولوس (الوالي) الطرف عن اليهود وما اقترفته أيديهم، فتدخلَ كيرلس بقوة وعمل على طرد اليهود من المدينة وتحويل مجامعهم إلى كنائس". فبينما السنكسار يُظهر كيرلس بموقع الدفاع عن النفس، المُبعد الذئاب عن رعيّته اتقاءً منه لنهشهم خرافه الناطقة، يُظهر فيلم آغورا كيرلس كرئيس عصابة أشرار تبادر بذبح اليهود وطردهم من مدينتهم!!!

أما بالنسبة للوثنيين، فيظهرهم مخرج آغورا مدافعين عن آلهتهم التي أهانها المسيحيون بتصرفاتهم. فيبادرون إلى ذبح المسيحيين في الشوارع، وكانت ردّة فعل المسيحيين أن طاردوهم حتى إلى المكتبة التي تحصّن فيها الوثنيون، وبعد ذلك دخلها المسيحيون وأمعنوا فيها ذبحاً وتدميراً. هل يُعقل أن المسيحيين الذين احتملوا ثلاثة قرون من الإضهادات والذي يبشرون بالسلام واللاعنف يتصرفون بهذه الطريقة؟ هل يُعقل أن نُعلن الكنيسة قداسة رئيس عصابة مثل كيرلس فيلم آغورا؟ أخي المسيحي لا تصدّق مثل هذا الكذب والافتراء.

ماذا يقول السنكسار؟ سيرة القديس كيرلس في السنكسار تقول أنّه بعد محاولات عدّة لهداية الوثنيين، و"بايعازٍ من ملاك الربّ"، دخل بلدتهم حاملاً سلاح الله الكامل التي هي "ذخائر الشهيد كيرلس والرسول مرقس" وذلك باحتفال مهيب تتقدّمهُ الصليبان والمباخر والكهنة والمرثمون. "دخل كيرلس على الوثنيين بسلاح الليتورجيا والروح وليس بالسيف والحجارة كما يزعم فيلم آغورا!!! وكان أن "بعدها أودعت الذخائر في هيكل مانوتيس الوثني أجرى الله بها معجزات جمّة. وإذ فتح روح الربّ أذهان سكّان البلدة تنصّروا جميعهم ونالوا سرّ المعمودية فتلاشت الوثنية في البلاد.

كيرلس رجل من رجالات الله وجندي للمسيح، وهو معلّم للكنيسة طرد عنها الهرطقة بسيف الروح ودعمَ إيمانها بكتاباتة اللاهوتية. كيرلس، كان من رجالات المجمع المسكوني الثالث سنة ٤٣١ م الذي دحض نسطوريوس وثبتّ تعليم الكنيسة عن اتحاد الطبيعتين الإلهية والإنسانية في أقنوم (شخص) المسيح يسوع ابن الله المتجسد.

نأمل أن نكون في هذه المقالة أن أظهرنا لكم رياء وخداع منتجي ومخرجي فيلم آغورا، وأن نكون قد بينا، ولو بالقدر القليل عظمة القديس كيرلس الإسكندري معلّم الكنيسة. السبحُ والمجدتُ لله الآب والابن والروح القدس، الآن وكلّ أوانٍ وإلى دهر الداهرين. آمين.

د. روجيه سابا

[1] - منشورات عائلة الثالوث القدس - دير مار يوحنا دوما - لبنان